

ميراثها القديم، ونفذوا إلى أوزان جديدة هي المجتث والمقتضب والمضارع والمتدارك، وهي أوزان تتفرع من الأوزان القديمة وترتد إليها، كما ترتد تجديداتهم في القافية وما استحدثوه من مخمسات وأشعار دورية، إذ لا تزال جميعها تعتمد على القافية المكررة وإن لم يتسع تكرارها أحياناً. وبذلك ظل نغم القصيدة العربية التقليدية يندلع بقوة في القصيدة العباسية نافذاً إلى أعماق الأعماق من وجدانات الشعراء وقلوبهم بذبذباته ورناته المنتظمة، وظلت الصور والأخيلة والمعاني البدوية القديمة ماثلة في أذهان هؤلاء الشعراء العباسيين الذين نقلت إليهم الثقافات الأجنبية من هندية وفارسية ويونانية ورقية عقولهم ضرباً مختلفة من الرقى وتحضروا وأمعنوا في التحضر، ومع ذلك كله ظلوا يحتفظون للعربية بدقائقها التعبيرية والجمالية وللشعر بموسيقاه وما تحمل من رنات وإيقاعات بديعة وبأخيلته وصوره ومعانيه القديمة مع استغلاهم في معانيهم للتلقيح والتوليد ومع إدخالهم بعض الصور والمجازات مما لا ينبوعن الذوق العربي ولا يجافي البراعات والابداعات العربية.

وبذلك كله ظلت للشعر العربي في العصر العباسي مقوماته القديمة، حتى بين الزنادقة من أمثال بشار الشعوبي عدو الإسلام والعروبة، إذ نراه يستوعب تقاليد وخصائصه الجمالية أدق استيعاب وما يزال مكباً عليها أعواماً حتى يقف على أسرارها ودقائقها متمثلاً لها، متعمقا فيها حريصاً أشد الحرص على التعمق والتمثل، ويستظهرها أروع استظهار حين تفتح موهبته الشعرية، حتى ليقول ابن المعتز فيه «كان شعره أنقى من الراحة، وأصفى من الزجاجة، وأسلس على اللسان من الماء العذب». ونعجب أن يستطيل بشار على العرب ودينهم الحنيف وأن يقهره شعرهم وينتصر نصراً مؤزرًا على شياطينه، ويسخره ليكون أداة مذلة من أدواته وأحد شعرائه البارعين، وما ذلك إلا بسبب عظم شخصية الشعر العربي، تلك الشخصية التي يستعصى شيء من مقوماتها التقليدية الراسخة على الفناء أو الانحفاء، بل يظل الماضي الفني فيها ماثلاً في الحاضر دون أن تتقطع بينها الأوصال، بل لعل الماضي يعود ليعيش في الحاضر معيشة أكثر خصباً. وهل